العربية بين الفصحى والعامية

وكتاب رد العامي الى الفصيح

كان شيخنا وزميلنا في المجمع العلي العربي : الأستاذ أحمد رضا قد وضع قبيل انتقاله الى رحمة الله ـ كتابه « رد العامي الى الفصيح » وهو كتاب قيم مفيد خدم به العربية خدمة جليلة ، ووُفِّق فيها توفيقاً مشكورا .

وسبقت لنا كلمة في هذا الكتاب ، رأيت أن أنقل بعضها ، وأضيف اليها ما لا بد منه ، مما يتصل بموضوعنا ، نزولاً عند رغبة من لا أرى لي مندوحة عن اجابة طلبه .

وخليق بمن يهتمون بهذه العربية ، ويغارون عليها ، أن يدابروا عنها في كل مناسبة تعرض ، بعد أن استشرى داء بعض المستشرقين الاستعماريين في العمل على افساد لغتنا ، بالدعوة الى العامية ، وتفضيلها على الفصحى ، تمزيقاً للوحدتين : القومية واللغوية ، وبعد أن كثر بين العرب من ينزعون نزعتهم ، عن سوء نية ، أو سلامة طوية .

وقد عدُّوا الأبواب التي يريدون أن يدخلوا منها الى حرم العربية فيدنسوا مقدساتها ويفسدوا أوضاعها ، ويغيروا أشكالها ، فاذا سُدّ عليهم باب ، وأعيتهم فيه حيلة ، عمدوا الى باب آخر لعلهم يجدون فيه الثغرة التي أعوزتهم في محاولتهم تلك . ومن المؤلم : أن عدد هؤلاء المدامين يزداد يوماً بعد يوم ، ويقبل الناس على الاستماع اليهم ، ومن يدري اذا تمادى بهم الأمر وظل رجال العربية ساكتين عنهم ـ سواء أكان سكوت ازدراء أو اعراض ـ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أن يبلغوا في يوم من الأيام ما يريدون أو بعضه [1] ، ومتى وجد الطرق فمن يضمن أن لا يتسع على الراقع .

ومن غرائب هذه المحاولات في الفترة الأخيرة ، قيام فئة تريد - على زعمها - اصلاح الاملاء العربي . كأن هذا الإملاء السهل الواضح الصريح ، المبني على أسس راسخة ، وقواعد ثابتة ، يحتاج الى من يصلحه ، وأوجع ما كان من هذا ، أن نفراً ممن يوثق بعربيتهم وبعروبتهم ، لا يتهمون بعجز في اللغة ، وهم من أقطابها ، ولا تطالهم تهمة في غيرتهم على العربية واخلاصهم لها ، قد ذهبوا في مؤتمر المجامع اللغوية العربية الذي عقد في دمشق هذا المذهب ، وقالوا بهذا التجديد الهدام ، وهو شيء يحار الانسان في فهمه ، ولا يعرف كيف يفسره ، ولا على أي محمل يحمله ، واذا كانت العربية يظنها أعرف الناس بأسرارها ، ومن كان عليه أن يكون من أشد القوم حفاظاً على آثارها ، فما ظنك بالجاهلين والهدامين .

هذه اللغة التي تلفظ حروفها كما تكتب ، لا يتبدل النطق بها أين وقعت وكيف وقعت ، وللهمزة التي يجعلها العاجزون حجة على الصعوبة ، قواعد معروفة ، وصورة حية ماثلة ، وللتائين المبسوطة والمعقودة ، وللألف المقصورة والممدودة ، قاعدة معروفة أيضاً لا تختلف ولا تتغير . يسهل حفظها ، والجري عليها . على من شدا شيئاً من العربية ، أو حفظ القليل من قواعدها .

وهؤلاء الذين لا يرضيهم هذا الإملاء العربي الواضح ، راضون عن الإملاء في اللغات الأجنبية التي يعرفونها ، رضاء أبناء هذه اللغات نفسهم عنه ، على ما في هذا الإملاء من شذوذ في حروفه وفي تراكيبها . يختلف لفظ

(١) كثرت في الفترة الأخيرة الكتابة باللغة العامية والخطابة بها ، وهبط الشعر الى دركة ساوى فيها الرجل بل انحط عنه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحرف الواحد باختلاف موقعه ، فينقل الحرف من لفظ الى لفظ آخر لا نسبة بينهما ، وتلفظ الحرف عندهم ولا تكتبه ، وتكتب الحرف والأحرف ولا تلفظها . وعلى الجملة فالإملاء في لغاتهم وهو ما فصلنا بعضه ، في الكلمة التي ألقيناها في مؤتمر المجامع اللغوية ـ شذوذ في شذوذ ، وقد شرفت العربية عنه ، وعافاها الله وعافانا منه .

رضوا بهذا الإملاء الذي يسميه أحد علمائهم [1] Chinoiserie ولم يرضوا لنا ولا رضي بعضنا بهذا الإملاء العربي بصيغته السهلة ، وقواعده البينة .

على أن من الغرائب المؤلمة هذه المعمية المعيبة ، التي نحن عليها ، وهذا الاستسلام المخزي الذي نستسلمه ـ غير مفكرين ولا مدافعين ـ كما انتقد العربية منتقد منا ، أو من غيرنا .

جرى بعض المدرسين ـ فترة من الزمن ـ على لفظ بعض الحروف العربية لفظاً أجنبياً ، وهي طريقة لا وجه لها ، ولا يستقيم لها انتساق . ورأى آخرون ان تلفظ الحروف العربية لفظاً صوتيا . وهو أسلوب قد يكون مفيداً ، ولا اعتراض لنا عليه ، فالمدرسون القائمون على عملهم أدرى منا بما هو الأوفق والأسهل .

ولكن اعتراضنا على الانتقاد الذي زعموه سبباً لهذا التبديل في التلفظ . يقولون لك :

من شذوذ العربية ! . . . . . ان حروفها لا انسجام بينها مفردة ومركبة . وهو ما لا مثيل له في سائر اللغات . فاذا قلت (عين) أو (سين) أو (قاف) أو (كاف) ومثلهن كثير فكيف توفق بين حرف من هذه الأحرف في

(١) قالها أحد علماء الفرنسيين ، والافرنسية أكثر لغات الغرب تثقيفاً وتهذيباً ، فما عسى ان يقال في غيرها و « Chinoiserie » من معانيها القياس الغريب المرتبك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

حالة الإفراد ، وبينه وبين لفظه في حالة التركيب ؟ فاذا قلت : عالم مثلاً أو سالم فأين ذهبت الياء والنون ؟ . . . . . وأين ذهبت (الألف) و (الفاء) و (القاف) و (الكاف) في (قائل) و (كافل) وأمثالها ؟

ولسنا هنا في بيان السبب الذي من أجله سمّي كل حرف باسمه الذي أطلق عليه ، ولا نحن بالذين يزعمون أن العربية بحروفها وألفاظها ، وُضعت أول ما وُضعت وضعاً علمياً من سائر وجوهها ووجوهه ، ولا بالمعترضين على الحروف تلفظ لفظاً صوتياً .

ولكنا نقول : ان العربية لم تشذ في هذا عن سائر اللغات التي جاءت بعدها ، ولا انفردت به . فما يجوز أن يؤخذ على العربية ، يجب أن يؤخذ على الحروف في جميع اللغات ، فهي في حال تركيبها تخالف ما كانت عليه في حالة افرادها فتسقط من الحرف مركباً مثل ما تسقط منه في العربية بل ما يزيد[1] .

ونخلص بعد هذا الى ما يجب على العرب من صيانة لغتهم والحفاظ عليها ، وتسفيه الاعتراضات التي يوردها بعضهم تعصباً أو جهلاً . وأول هذه الواجبات وأولاها بالعناية ، نشر العربية الفصحى واستعمالها استعمالاً صحيحاً في المجالس العلمية والرسمية ، وفي المؤتمرات ، وفي حلقات الأدباء والمتأدبين ومناقشاتهم .

فالعرب لن تستقيم لهم لغتهم ما دامت لغتين مختلفتين : لغة عامية ، ولغة فصيحة . وهذا ما يجعل العرب يعانون في تعلم لغتهم وفي ضبط ألفاظها ما يقرب مما يعانون في تعلم لغة غريبة عنهم[2] . فالحاجة الى تقريب مسافة الخلف بين اللغتين ، حاجة ملحة ولا سيما في زماننا هذا الذي صار فيه العالم وكأنه وطن واحد ،

---

(١) خذ مثلاً (Z) و (Y) وغيرهما . فهل تستطيع ان تحتفظ لها مركبة بصيغتها مفردة ؟

(٢) من كلمتنا في هذا الموضوع نشرتها العرفان سنة ١٩٥٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

اذا أصيب منه قطر فكأنما أصيبت أقطاره جميعاً في تجارتها واقتصادياتها وسائر مرافقها . فكيف بالأقطار العربية !

ومن وسائل هذا التقريب ، النظر في الكلمات العامية ، وتصحيحها ، ورد ما فيها من خطأ الى الفصيح . وقد عالج هذا الموضوع جمهرة من علماء العربية من المتقدمين والمتأخرين ، ولعل أول من كتب في هذا من المتأخرين وجعله كتاباً برأسه ، الشيخ خليل اليازجي ، ولست أعرف أطبع كتابه أم بقي مخطوطاً ، والأستاذ رشيد عطيه في كتابه الدليل في العامي والدخيل [1] وقد طبعه ، والأستاذ عيسى المعلوف ، وما كتبه نشر بعضه في مجلته (الآثار) وسائره لا يزال مخطوطاً ، والأمير شكيب أرسلان وكتابه موسوم بـ « القول الفصل في رد العامي في الأصل » وهو مخطوط لم يطبع بعد [2] . ثم كتاب الشيخ احمد رضا « رد العامي الى الفصيح » وهو الكتاب الذي نحن في بحثه الآن .

وهذا الكتاب تُظهر بحوثُه ما كابده صاحبه من مشقة ، وما اقتضاه من دَرْس ومراجعة وصبر وأناة .

رتب المؤلف كتابه على الحروف الهجائية ، ولنا أن نقسم بحوثه ثلاثة أقسام :

١ — الكلمات التي تكثر العامة من استعمالها ، حتى يخيل الى بعض الخاصة انها عامية ، وليست كذلك . حدد ذكر مصادرها ، واستشهد على صحتها بشواهد من كلام العرب الأقدمين .

٢ — الكلمات الصحيحة في الأصل وحرفتها العامة . فهذه ردها الى أصلها الصحيح .

٣ — ما ليس بصحيح ولا بعربي ، وجاء له بما هو في معناه مما استعملته العرب .

---

(١) هذا اسمه فيما اذكر ولعلي على خطأ .

(٢) نشر المجمع العلمي كتاب (بحر العوام فيما اصاب فيه العوام) لابن الحنبلي الحلبي المتوفى سنة ٩٧١ هـ بتحقيق التنوخي . « لجنة المجلة »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومثل هذا الجهد الذي عاناه المؤلف لا يجوز أن يُمر به مروراً عابرا ، كلمة ثناء مجملة وينتهي الأمر . بل يستحق دراسة دقيقة تقديراً لعمل أستاذنا الجليل .

هذا ما حملنا على مراجعته في بعض ألفاظ رأينا فيها غير رأيه ، قد يكون مردُّ أكثرها الى اختلاف اللهجات العامية ، في مختلف الأقطار العربية . بل الى اختلافها حتى في القطر الواحد . كان هذا ، على أن نتابع الملاحظات شيئاً فشيئا . غير أن الموت عاجله رحمه الله ، قبل أن يبدي رأيه ، في ما أبدينا رأينا فيه ، وها نحن أولاء نعيد بحثنا ، ونتابعه من حيث وقفنا . فقد يكون بين المشتغلين في هذه الموضوعات من يرى رأينا ، أو يصحح ما وهمنا فيه .

فمن هذه الكلمات التي ترددنا فيها :

تمألس : قال المؤلف : « ويقولون تمألسه وتمألس به ، اذا سخر به وهزأ . فكأنه ينزله منزلة المألوس وهو المجنون . وفي اللغة : الس السا : الرجل فهو مألوس . اذا اختلط وذهب عقله . والالاس الجنون . وتمألسه هذه بمعنى جعله كالمألوس . فعبث به وسخر منه كما يعبثون بالمجنون ، والميم زائدة لأنها صيغت من المألوس على توهم الاصالة » اهـ الصفحة الـ ٨ .

المقلسة : وقال في الصفحة الـ ٣٨٥ : « وقالوا تقلس عليه ، اذا سخر منه ، أو تنادر معه منادرة فيها سخرية . وهو من (ألقسه) يلقسه لقسا اذا عابه وشتمه ، واذا سخر منه أو لقبه باللقب الرديء . أو هي تمألس بالهمزة راجع ا . ل ـ س . اهـ » .

قلنا : هذا التردد في رد الكلمة الى أصل فصيح ، وهذا التخريج ـ الذي فيه ، في رأينا ـ شيء من التكلف يحملنا على التفتيش لها عن أصل آخر .

والذي نراه أن « المقلسة » هي بالقاف لا بالهمزة ، على ما تلفظها الى اليوم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عامة بني معروف ، ومن يجاورهم من أهل الشوف ، وعلى ما جاءت أخيراً في الصفحة الـ ٣٨٥ من الكتاب .

وفي لسان العرب « التقلبس : ضرب اليدين على الصدر خصوعا ... » و « الانخناء ... » وهو ما يفعله المستهزئون بمن يستهزئون بهم . أفلا يكون رد تمقلس الى قلس اقرب منه الى « ألس » أو « لقس » ؟

أطم : ومن هذه البابة (اطم) بمعنى قطع ردها المؤلف الى (اتم) وقال : « وفي اللغة : أتم الشيء قطعه ... » قلنا : وقد تكون (قطم) بالقاف ، أقرب ، وقد ذكرها الأستاذ ، ومرّ بها وكأنها لم ترضه .

فأى : قال : (فأى الدملة والقرحة) اذا شقها ، فانفأت . وهو من قول العرب فأى رأسه : اذا فلقه بالسيف ، أو بالعصا ، ونحوهما ، نقله الجوهري عن أبي زيد .

وفي اللسان : قال الليث : فأوت رأسه فأواً وفأيته فأياً اذا فلقته بالسيف . وقيل هو ضربك قحفه حتى ينفرج عنه الدماغ ، والانفياء الانفراج ..

قلنا : أقرب من هذا ، وأقل سنداً في التخريج ، أن ترد (فأى) الى (فقأ) .

وفي اللسان : فقأ العين ، والبثرة ونحوهما ، يفقؤهما فقأ .. قلعها وبحقها [1] ...

وفي الحديث : لو ان رجلاً اطلع في بيت قوم بغير اذنهم ففقؤوا عينه لم يكن عليهم شيء .. وكانت العرب في الجاهلية ، اذا بلغ ابل الرجل منهم ألفاً ، فقأ عين بعير منها وسرحه حتى لا ينتفع به .

والعامة في بني معروف الى اليوم تستعمل هذه اللفظة على وجهها الصحيح . فتقول (فقأ) الدملة والعين ونحوهما . غير أنها تستعملها مسهلة بلا همزة [2] .

---

(١) البحق (بالتحريك) اقبح ما يكون الور .

(٢) كما تستعمل (قور) وهي صحيحة ، و (فقر) ولها وجه . يقال فقر الحرز اي ثقبه - وحزه - واثر فيه . ومن هنا اخذت العامة قولها (فقر عينه) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

دويل : ويرى الأستاذ ان (دويل) بمعنى أطرق برأسه الى الأرض ، أخذته العامة من الدويل وهو الخنزير . لأنه من عادة الخنزير أن يكون مطأطئ الرأس .

قلنا : لعل الأقرب أن تكون (دويل) من (ذبل) بالذال المنقوطة . وفي اللسان : ذبل النبات والغصن والانسان ، يذبل ذُبولاً دق بعد الري ، فهو ذابل ، أي ذوي . وكذلك (ذبل) ... وأذبله الحر ...

والعامة عندنا تقول (ذبلان) و (مذوبل) اذا أطرق لتعب أو علة أو خجلاً وانكساراً

عارف النكدي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net